بلاغة السكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، دراسة دلالية بلاغية

الاستـلام: 8/ نوفمبر / 2024
التحكيم: 9/ ديسمبر /2024
القبـــول: 14/ ديسمبر /2024

سمير محسن مثنى أحمد [1،*]

© 2024 University of Science and Technology, Aden, Yemen. This article can be distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author and source are credited.

© 2024 جامعة العلوم والتكنولوجيا، المركز الرئيس عدن، اليمن. يمكن إعادة استخدام المادة المنشورة حسب رخصة مؤسسة المشاع الإبداعي شريطة الاستشهاد بالمؤلف والمجلة.

[1] باحث لغة عربية ، جامعة العلوم والتكنولوجيا، اليمن، عدن.
* عنوان المراسلة : sameer84777@gmail.com

بلاغة السكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية، دراسة دلالية بلاغية

الملخص:

يهدف البحث إلى الكشف عن الأسرار البلاغية للسكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم، وما يتضمنه السكت من قيم جمالية، وقام البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقف أمام هذه الظاهرة ليبين قيمتها ومكوناتها البلاغية، وقد تم تقسيم البحث إلى مبحثين ومن خلالهما التعريف بالسكت والقطع والوقف، ولمحة عن القراءات القرآنية والتعريف برواية حفص عن عاصم، ثم ولج البحث في بيان بلاغة السكت في القرآن الكريم، من خلال مواضع السكت الأربعة في القرآن الكريم التي سكت فيها حفص، وختم البحث بنتائج كان أهمها: إن للسكت في القرآن الكريم دلالات بلاغية توضح المعنى للسامع والقارئ على حد سواء، وتنبهه إلى أهمية ما يلي الأمر الذي سكتنا عنه، ولا نجد ذلك في الوصل، أو الوقف، وأن المواضع التي سكت عندها حفص هي أربعة مواضع متفق عليها، وهي مواضع متعلقة بأمور مهمة للمسلم في عقيدته وأخلاقه وتعاملاته، وأوصى الباحث بتوسيع دائرة الاهتمام ببلاغة السكت في القرآن لدى بقية القراء.

الكلمات المفتاحية: بلاغة، دلالة، السكت، حفص عن عاصم.

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

The eloquence of silence in the Holy Qur'an, narrated by Hafs on the authority of Asim via Al-Shatibiyyah, a semantic and rhetorical study

Samir Mohsen Muthanna Ahmed [1,*]

Abstract:
Research topic: (The eloquence of silence in the Holy Quran according to the narration of Hafs on the authority of Asim via Al-Shatibiyyah, a rhetorical semantic study). The research aims to reveal the rhetorical secrets of silence in the Holy Quran according to the narration of Hafs from Asim, and what silence includes in terms of aesthetic values. The research was based on the descriptive analytical approach that stands before this phenomenon to show its value and rhetorical contents. The research was divided into two sections, through which the definition of silence, rupture and stopping, a glimpse of the Quranic readings and the definition of the narration of Hafs from Asim, then the research entered into explaining the eloquence of silence in the Holy Quran, through the four places of silence in the Holy Quran in which Hafs was silent. The research concluded with results, the most important of which were: silence in the Holy Quran has rhetorical connotations that clarify the meaning to the listener and the reader alike, and alert him to the importance of what follows the matter that we were silent about, and we do not find that in connection or stopping, and that the places where Hafs was silent are four agreed upon places, and they are places related to important matters for the Muslim in his faith, morals and dealings. The researcher recommended expanding the circle of interest in the eloquence of silence in the Quran among the rest of the readers.

Keywords: *Rhetoric, meaning, silence, Hafs on the authority of Asim.*

[1] Arabic Language Researcher, University of Science and Technology, Yemen, Aden.
* Corresponding Author address: sameer84777@gmail.com

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد البلغاء وإمام الفصحاء محمد صلى الله عليه وسلم.

وبعد:

فإن الحديث عن بلاغة القرآن الكريم، أو الحديث عن أسرار إعجازه من الأمور التي تجعل الباحث يفكر كثيراً؛ وذلك لما يعتريه من خوف شديد من أن يقول شيئاً في القرآن ليس منه ولا من مدلولاته، وهذا السبب هو الذي جعل كثيراً من الباحثين يترددون في الكتابة عن هذا الموضوع؛ ولأن كلام الله معجز بلفظه ومعناه، وإضافته إلى الله هو سر إعجازه وبلاغته، ولذا تحدى الله البشر جميعاً أن يأتوا بآية تشبهه: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾(الطور:34) وأيضاً عجز الأولون والآخرون عن ذلك: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(الإسراء:88)، ولذا يعقب الله عن محاولتهم الإتيان بمثله بأنهم لا يستطيعون، أيضاً لا يجدون فيه مثلباً أو نقصاً تعارضه اللغة والعقل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، (النساء:82) فكلام البشر له خصائص البشر، وقدراتهم العلمية، وتفكيرهم واتجاهاتهم، وهذا يبين مدى قدرة البشر على الفصاحة والبيان، وكلام الله يحمل خصائص الألوهية المطلقة الكاملة، ولسنا في هذه المقدمة نستطيع أن نبين فضل كلام الله على ما دونه من الكلام، وإنما فقط يوضح الباحث أن البحث عن أسرار القران وألفاظه ووقفه وابتدائه وهمسه وجهره وسكوته ووصله، من الأهمية، ولا نستطيع إدراك كل المعاني، فهو متجدد المعنى مع تجدد القراءة، وكلما ازددت تلاوتا له زادك فيضاً من المعاني والعطاء المعرفي والبلاغي.

والباحث يقف مع دلالات السكتات في القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم، ليحاول توضيح المدلولات البلاغية لهذه السكتات ومدى السعة البلاغية لكل سكتة من سكتات القرآن الكريم، وغموض المعنى في حين الوصل، بل يجعل الباحث يوضح بعض الأسرار المتعلقة بكلام الله وتفسيره ومعرفة أسراره وبلاغته في الوصل والوقف والسكت.

ومهما يكن من أمر، فقد وقف الباحث على دراسة بلاغة السكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم دراسة نظرية وأخرى تحليلية على مواطن السكوت عند المقرئ، خصص لكل منها جزءا من هذا البحث.

أهمية البحث:

إن اللغة العربية بفروعها إنما نشأت لخدمة النص القرآني وفهمه وتوضيحه وتبيين أسراره، وقد ألفوا في ذلك كثيرا من الكتب المعنية بالتراكيب البلاغية والدلالات النحوية، ومع هذا لم يحصوا كل ما في القرآن من أسرار، بل يستحيل استيعاب أسرار القرآن الأمر الذي يستدعي الباحث استعراض بعض هذه الدلالات التي سكت عندها القراء، ولم تنل- حسب علم الباحث- من الدراسة والتحليل مقارنة ببعض الظواهر البلاغية، وهنا تكمن أهمية هذا البحث.

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

أهداف البحث:

الكشف عن الأسرار البلاغية للسكت وما يتضمنه من قيم جمالية.

إبراز الجوانب البلاغية للسكت في القرآن الكريم والفرق بين السكت والوقف، والسكت والوصل.

إضافة شيء لتراثنا البلاغي وتوضيح أهمية دراسة البلاغة في حياتنا الأدبية والفكرية.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة هذا البحث في معرفة الدلالات البلاغية للسكت في القرآن الكريم، والفرق بين الوقف والسكت، ويمكن تلخيص مشكلة البحث في الإجابة عن هذه التساؤلات:

- هل توجد أوجه بلاغية للسكت في القرآن الكريم بحسب رواية حفص عن عاصم، وما الوجه البلاغي لهذا السكت؟
- ما الأوجه البلاغية للسكتات في القرآن الكريم؟
- وما الفرق بين السكت والوقف في الآية الواحدة؟
- وهل يتغير المعنى في حين تم الوصل أو الوقف؟

منهج البحث:

قام البحث على المنهج الوصفي التحليلي الذي يقف أمام هذه الظاهرة ليبين قيمتها ومكوناتها البلاغية.

والمنهج اللغوي الذي يتخذ من اللغة وسيلة للإدراك الجمالي.

هيكل البحث:

قسّم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف السكت والقطع والوقف، والتعريف بالقراءات وبرواية حفص عن عاصم.

معنى السكت لغة واصطلاحاً.

معنى القطع لغة واصطلاحاً.

معنى الوقف لغة واصطلاحاً.

لمحة عن القراءات والتعريف بقراءة حفص عن عاصم.

المبحث الثاني: بلاغة السكت في القرآن الكريم.

مواضع السكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

الدلالة البلاغية للسكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

المبحث الأول: تعريف السكت والقطع والوقف

معنى السكت لغة:

وقف علماء اللغة على معنى السكت فقالوا: (السَّكْتُ) و(السُّكُوتُ): خِلافُ النُّطق.

وقد سَكَتَ، يَسْكُتُ، سَكْتاً، وسُكُوتاً، (كالسُّكَاتِ) بالضَّمِّ، (والسَّاكُوتَةِ) فاعُولَةٌ من السَّكْتِ.

وأخذَه سَكْتٌ وسَكْتَةٌ وسُكَاتٌ وسَاكُوتَةٌ . ورجلٌ ساكِتٌ وسَكُوتٌ، وساكُوتٌ .
والسَّكْتُ: الرجلُ (الكَثِيرُ السُّكُوتِ، كالسِّكِّتِيتِ) بالكسر وياءٍ بينَ تاءَيْن . وقال أبو زَيْد: سمِعْتُ رجُلاً من قَيْسٍ يقول: هاذا رَجُلٌ سِكِّتِيتٌ، بمعنى (السِّكِّيت).
ورَجُلٌ سِكِّيتٌ، بَيِّنُ السّاكُوتَةِ والسُّكُوتِ: إذا كان كثيرَ السُّكُوت، وكذلك (السُّكَّيْتُ، والسُّكَيْتُ)، مُصغَّراً مُشدَّداً ومُخفَّفاً.
(والسَّاكُوتُ، والسّاكُوتَةُ)، يُقالُ: رَجُلٌ ساكُوتٌ وساكُوتَةٌ: إذا كان قليلَ الكلامِ من غير عِيٍّ، فإذا تكلَّمَ أحْسَنَ .
قال اللَّيْثُ: يقال: سَكَتَ الصّائِتُ يَسْكُتُ، سُكُوتاً: إذا صَمَتَ، قال بعض المُحَقِّقين: إنّ السُّكوتَ هو تَرْكُ الكلامِ مع القدْرةِ عليه. قالوا: وبالقيد الأخير يُفارِقُ الصَّمْتَ، فإنّ القدرةَ على التَّكلُّم لا تُعتبر فيه، يقول الراغب في مفرداته: الصَّمْتُ أبلغ من السُّكُوت، لأنه قد يُستعملُ فيما لا قوّةَ له على النُّطق، ولذا قيل لِما لا نطقَ له: الصّامتُ والمُصْمَت والسُّكُوتُ يقالُ لما لَهُ نطقٌ، فيُتْرَكُ استعمالُه.
والسَّكْتُ: من أصول الألحان، شِبْهُ تَنَفُّسٍ، يُرادُ بذلك (الفصْلُ بَيْنَ نَغْمَتَيْنِ بلا تَنَفُّسٍ)، كذا في التَّهْذيب، كالسَّكْتَةِ .
وسَكَتَ يَسْكُتُ سُكُوتاً، وأسْكَتَ . وقيلَ: تكلَّمَ الرَّجُلُ ثم سَكَتَ، بغير ألِفٍ.
و(أسْكَتَ): إذا (انقطعَ كَلامُهُ، فلَمْ يَتَكلَّمْ)؛ وقيل سَكَتَ تعَمُّدَ السُّكُوتَ وأسْكَتَ أطرَقَ من فِكْرَةٍ أو داءٍ أو فرَقٍ، (الزبيدي، ب.ت، (558/4))، و(ابن منظور، ب.ت، (43/2)).
والفرق بينه وبين الصمت أن القدرة على الكلام ليست شرطا فيه والصمت أوسع معنى من السكوت، لأنه يسند إلى ما لا نطق له، ويوصف به.

معنى السَّكْتِ اصطلاحاً:

وأما في اصطلاح القراء فهو: عبارة عن قطع الصوت زمنا دون زمن الوقف عادة من غير تنفس مع قصد القراءة" (المرصفي، ب.ت، (407/1))، و(القارئ، ب.ت، (105/1)).
وفي النشر: قطعُ الصوت على الكلمة القرآنية زمنًا يسيرًا من غير تنفس مقداره حركتان، وهو مقيد بالسماع والنقل، فلا يجوز إلا فيما صحّت الرواية به. (ابن الجزري، ب.ت، (337/1)).
ومنهم من عرفه أيضاً بأنه: الوقف بين حرفين زمنا يسيرا من غير نفس.
والقيد بعدم التنفس احترازمن الوقف لأنه يكون بتنفس.
وحتى يستطيع الباحث إيضاح تعريف السكت كان لا بد من توضيح تعريف القطع والوقف حتى يتضح الفرق جلياً ويظهر معنى السكت.

تعريف القطع:

القطع لغة: هو الإبانة والإزالة، وفي لسان العرب: "القَطْعُ: إبانةُ بَعْضِ أجزاءِ الجِرْمِ مِنْ بعضٍ فصْلًا. قطعَه يَقْطعُه قطعاً وقَطِيعةً وقُطوعاً، والقَطْعُ: مَصْدَرُ قطعْتُ الحبْلَ قطعاً فانقطع"، (ابن منظور، ب.ت، (276/8)).
واصطلاحًا: قطع القراءة رأسًا والانصراف عنها إلى أمر خارجي لا علاقة له بها، فإذا عاد إليها مرة ثانية استحب له أن يستعيذ، ولا يكون قطع القراءة إلا في أواخر السور أو على رءوس الآي على الأقل؛ لأن رءوس الآي في نفسها مقاطع. (ابن الجزري، ب.ت، (240/1)).

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

وقد ذكر ابن الجزري في النشر بسند متصل إلى عبد الله بن أبي الهذيل قال: "كانوا يكرهون أن يقرأون الآية ويَدَعُوا بعضها. وعبد الله بن أبي الهذيل تابعي كبير، والضمير في (كانوا) يدل على أن الصحابة كانوا يكرهون ذلك". (ابن الجزري، ب.ت (1 / 239))، و(النووي، 1994، ص 78).

تعريف الوقف:

الوقف لغة:

مصدر وقف وهو فعل يأتي متعديًا، فيقال: وقفتِ الدابةَ، ويأتي لازمًا، فيقال: وقفت وقوفًا، (الفيومي، ب.ت، (669/2)، و(الأزدي، 1987، (968/2))، و(الكفوي، ب.ت، (940)).

ويأتي في اللغة بمعنى الكف والحبس والمنع عن مطلق شيء، يقال وقفت فلانا عن كذا إذا كففته عنه، ومنعته عن مباشرته. (الجرجاني،1983، ص (253)).

وقد جاءت مادة (وقف) في القرآن الكريم بالمعنى اللغوي في أربعة مواضع:

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ﴾ [الأنعام: 27]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾[الأنعام: ٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ [سبأ: ٣١]، وقوله تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾[الصافات: ٢٤] وكلها تدل على الحبس وسكون الحركة.

الوقف في اصطلاح القراء: "قطع الصوت عن الكلمة القرآنية زمناً يتنفس فيه عادة، مع قصد الرجوع إلى القراءة، إما ما يلي الحرف الموقوف عليه، إن صلح الابتداء به، أو بالحرف الموقوف عليه أو بما قبله مما يصلح الابتداء به، ولا بد من في الوقف من التنفس معه". (ابن الجزري، ب.ت، (240/1))، (السيوطي،1974، (299/1))، (الحصري، ب.ت، ص251).

من هذه التعريفات يتضح أن السكت لا يكون معه تنفس، بينما الوقف يشترط فيه التنفس مع المهلة، وأما القطع: فهو الانصراف عن القراءة والانتهاء منها كلياً، ولا يشبه السكت ولا الوقف. (السيوطي،1974، ص299-300)، (ابن الجزري، ب.ت، (240/1)).

لمحة عن القراءات، والتعريف برواية حفص عن عاصم:

القراءات في اللغة: جمع قراءة، هي مصدر قرأ يقرأ قراءةً وقرآناً، وأصل القراءة في اللغة: الجمع، وكل شيءٍ جَمَعْتَهُ فقد قرأْتَهُ (ابن منظور، ب.ت، (129/1))، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل؛ ولذلك لا يقال للحرف الواحد إذا تفوّهت به قراءة (الأصفهاني، 1412، ص400).

القراءات اصطلاحاً:

اختلفت فهوم العلماء في تعريف القراءات، إلا أن كلاً منهم أراد أن يبرز المعنى المتناول لديه لمفهوم القراءات، واختار الباحث منها تعريف ابن الجزري: «القراءات علم بكيفيَّة أداء كلمات القرآن واختلافها مَعْزُوّاً لناقله» (ابن الجزري،1999، (9/1))، لاشتراطه في القراءة النقل والسماع، وهما الأصل في أخذ القراءة، وشموله جميع ألفاظ القراءات المتفق عليها والمختلف فيها.

ويمكن اعتبار نزول سيدنا جبريل عليه السلام بالقرآن على النبي ﷺ بالأحرف السبعة أول النشأة للقراءات، أما بداية تأصيل تلقي القراءات فمنذ بدأ تلقي النبي ﷺ وتعلمه كيفية القراءة من جبريل عليه السلام، وقد أقرأ النبي ﷺ أصحابه

القرآن بجميع أوجهه وقراءاته، فربما أقرأ صحابياً بحرف، وأقرأ صحابياً آخر بحرف آخر(مكي،ب.ت، ص 38)، بحسب ما تقتضيه حاجة القوم، ولغرض التيسير، وبذلك فإن سائر القراءات المتواترة قد قرأ بها النبي ﷺ وأقرأها، ومر علم القراءات بمراحل كغيره من العلوم حتى وصل إلى مرحلة اختيار السبعة القراء ورواتهم، قام بتلك الخطوة أبو بكر بن مجاهد [ت324هـ]، منطلقاً من اختيار أبي عُبَيْد القاسم بن سلام [ت 224هـ] للسبعة القراء من كل مصر قارئ، و اختار ثلاثة قراء من الكوفة؛ لوفرة القراء فيها وندرتهم فيما سواها، وفق معايير دقيقة، من هؤلاء القراء الكوفيين الإمام عاصم بن أبي النجود، واختار له من رواته أبا بكر بن عياش الأسدي (شُعْبَة) [95- 194هـ]' وحفص بن سليمان البزاز الكوفي الأسدي [90-180هـ]. (الجودة، 2021، ص41و53) بتصرف.

التعريف بحفص وروايته:

حفص بن سليمان البزاز الدوري الغاضري الأسدي مولاهم، الكوفي، صاحب عاصم وربيبه ابن زوجته، أخذ عنه القراءة وأتقنها فشهد له العلماء بالإمامة فيها، ويعرف بحفيص، أخذ القراءة عرضاً وتلقيناً عن عاصم، ولد سنة تسعين هجرية، قال الداني: وهو الذي أخذ قراءة عاصم عن الناس تلاوة، ونزل بغداد فأقرأ بها وجاور بمكة فأقرأ أيضاً بها، وقال يحيى بن معين: الرواية صحيحة التي رويت عن قراءة عاصم رواية أبي عمر حفص بن سليمان، وقال أبو هاشم الرفاعي: كان حفص أعلمهم بقراءة عاصم، ولذلك اشتهرت روايته وتلقاها الأئمة بالقبول، توفي سنة ثمانين ومائة هجرية. (ابن أبي حاتم،1952، (173/3))،(الخطيب، 1417، (182/8))، (ابن الجزري، 1351 (255/1)). ورواية حفص عن عاصم هي التي يقرأ بها غالبية أهل المشرق اليوم.

المبحث الثاني: بلاغة السكت في القرآن الكريم.

مواضع السكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

إن الحديث عن بلاغة القرآن إنما هو حديث طويل ليس على مستوى الآية فحسب، وإنما هو على مستوى اللفظة الواحدة، والتي تدل على معنى بلاغي بذاتها، وتدل أيضاً على معنى بلاغي آخر وهي في إطار الآية نفسها، فمعرفة بلاغة السكت يزيد من فهم المعنى أولاً، ويوضح مدى إعجاز القرآن الكريم وعجز البشر عن الإتيان بمثله.

هذا هو الجانب التطبيقي للبحث، وهو الذي نريد أن نقف معه، وهذا ما يميز هذا البحث عن غيره، في كونه يناقش الدلالات البلاغية للسكت في القرآن، وبرواية حفص؛ كونها الرواية التي يقرأ بها غالبية الناس، وهي أربعة مواضع، كما يلي:

السكتة الأولى: على الألف المبدلة من التنوين في لفظ ﴿عِوَجَاً﴾ [الكهف: 1] بأول الكهف حالة الوصل ثم يقول ﴿قَيِّماً﴾ [الكهف: 2] وهذا لا يمنع من الوقف على "عوجاً" لأنه رأس آية، وإنما السكت حالة وصل "عوجاً" بـ"قيماً" .

السكتة الثانية: على الألف من لفظ ﴿مَّرْقَدِنَا﴾ [سورة يس: 52] ثم يقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرحمان وَصَدَقَ المرسلون﴾ [سورة يس: 52]. ويجوز الوقف على لفظ "مرقدنا" وهو تام، وعليه فلا سكت عندئذ وعند عدم الوقف يجب السكت من الشاطبية.

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

السكتة الثالثة: على النون من لفظ "من" في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: 27] ثم يقول: "راق" ويلزم من السكت إظهار النون الساكنة عند الراء.

السكتة الرابعة: على اللام من لفظ "بل" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ [المطففين: 14] ثم يقول: "ران".

قال الشاطبي في متن الشاطبية: (الشاطبي،2005، صـ66):

وسكتة حفص دون قطع لطيفة ... على ألف التنوين في عِوَجاً بَلا
وفي نون مَنْ راق ومرقدنا ولا ... م بل ران والباقون لا سَكْتَ مُوصَلا

وكذلك يسكت حفص في وجه له بين السورتين من غير تنفس في موضع واحد في التنزيل، وهو بين آخر سورة الأنفال وأول سورة براءة ومحله على الميم. (المرصفي، ب.ت، (408/1).

الدلالة البلاغية للسكت في القرآن الكريم:

السكتة الأولى: على الألف المبدلة من التنوين في لفظ {عِوَجًا} [الكهف: 1] .

وهذا في حال الوصل مع قوله تعالى ﴿قَيِّمًا﴾ جاء السكت هذا في مطلع سورة مكية، تميزت في الحديث على نعمة من الله وهو إنزال الكتاب، والمعنى: الحمد الكامل، والثناء الدائم، لله - تعالى - وحده، الذي أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، ولم يجعل فيه شيئا من العوج أو الاختلاف أو التناقض، لا في لفظه، ولا في معناه، وإنما جعله في أسمى درجات الاستقامة والإحكام.

والتعبير عن القرآن الكريم بالكتاب، إشارة إلى كماله وشهرته، أي: أنزل - سبحانه - على عبده محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب الكامل في بابه، الغنى عن التعريف، الحقيق باختصاص هذا الاسم به، المعروف بهذا الاسم من بين سائر الكتب.

والمراد به إما جميع القرآن الكريم سواء منه ما نزل فعلاً، وما هو مترقب النزول، وإما ما نزل منه فقط حتى نزول هذه الآية فيكون من باب التعبير عن البعض بالكل تحقيقا للنزول للجميع.

وقد جاء السكت على لفظ يفيد التنكير ليشمل النهى جميع أنواع الميل والعوج، إذ النكرة في سياق النفي تعم، أي: لم يجعل له - سبحانه - أي شيء من العوج. وقوله: ﴿قَيِّمًا﴾ تأكيد في المعنى لقوله - سبحانه: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ لأنه قد يكون الشيء مستقيما في الظاهر، إلا أنه لا يخلو عن اعوجاج في حقيقة الأمر، ولذا جمع - سبحانه - بين نفى العوج، وإثبات الاستقامة. (طنطاوي، ب.ت، (466/8)).

قال صاحب الكشاف: فإن قلت: ما فائدة الجمع بين نفى العوج وإثبات الاستقامة، وفي أحدهما غنى عن الآخر؟ قلت: فائدته التأكيد ، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة، ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح، وقيل: قيما على سائر الكتب، مصدقا لها ، شاهدا بصحتها ، وقيل: قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع (الزمخشري،1407، (472/2)).

فأهل اللغة والتفسير قالوا هذا من التقديم والتأخير والتقدير: "أنزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا. – قال الرازي- وأقول قد بينا ما يدل على فساد هذا الكلام لأنا بينا أن قوله:

﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ يدل على كونه كاملا في ذاته، وقوله: ﴿قَيِّمًا﴾ دل على كونه مكملا، وكونه كاملا في ذاته متقدم بالطبع على كونه مكملا لغيره، فثبت بالبرهان العقلي أن الترتيب الصحيح هو الذي ذكره الله تعالى وهو قوله: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (1) قَيِّمًا﴾ فظهر أن ما ذكروه من التقديم والتأخير فاسد يمتنع العقل من الذهاب إليه" (الرازي،1420، (423/21)).

والسكت على هذا اللفظ أفاد هذا المعنى، لأن المعنى يتغير في حال الوصل دون سكت، فقد يفيد أن لفظ العوج والقيام معنيان متغايران، وذكر فقط للتأكيد ، مع أن كل مصطلح أفاد معنى مستقلاً.

ومن الفنون البلاغية في هذه الآية: "1-التكرير: في قوله تعالى ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجاً﴾ فإن نفي العوج معناه إثبات الاستقامة، وانما جنح إلى التكرير لفائدة منقطعة النظير وهي التأكيد والبيان، فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة، مجمع على استقامته، ومع ذلك فإن الفاحص المدقق قد يجد له أدنى عوج، فلما أثبت له الاستقامة أزال شبهة بقاء ذلك الأدنى الذي يدق على النظرة السطحية الأولى، 2- المطابقة: فقد طابق سبحانه بين العوج والاستقامة، فجاء الكلام حسنا لا مجال فيه لناقد. (درويش،1415، (534/5)).

ولأن الموضوع في معرض الحديث عن أمر عقدي، وهو تنزيه كلام الله عن النقص أو الانحراف، جاءت في نهاية الآية سكتة لطيفة لتشد ذهن السامع وشعور القارئ، فنفي العوج في حين الوصل بالاستقامة لم يكن ذا معنى لذكر لفظين في آن واحد ، ومعناهما اللغوي مختلف، فالعوج في اللغة الميل، و(قيما) معناه الاستقامة "والكتاب لا عوج له .. «قيماً» .. يتكرر معنى الاستقامة مرة عن طريق نفي العوج، ومرة عن طريق إثبات الاستقامة. توكيدا لهذا المعنى وتشديدا فيه. (سيد قطب،1412، (3259/4)).

وقال الزركشي: ﴿عِوَجًا﴾ "يفصل بينه وبين "قيما" بسكتة لطيفة وهي رواية حفص عن عاصم وذلك يحتمل أن يكون لما ذكرنا من تقدير الفصل وانقطاع الكلام عما قبله". (الزركشي،1957، البرهان في علوم القرآن، (279/3)).

وقيل: حفاظًا على سلامة معاني الآيات، وبُعدًا عن اللَّبس والوقوع في الخطأ. قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ ، ثم يبتدئ: ﴿قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ﴾؛ لئلا يتوهم أن قوله: ﴿قَيِّمًا﴾ صفة لقوله: ﴿عِوَجًا﴾ "إذ العوج لا يكون قيماً". القطان،2000، ص187).

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

وجاء في مغني اللبيب: " ما حكاه بعضهم مع أنه سمع شيخا يعرب لتلميذه قيما من قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا(1) قَيِّمًا} صفة لـ: عوجا، قال فقلت له: يا هذا كيف يكون العوج قيما؟ وترحمت على من وقف من القراء على ألف التنوين في ﴿عِوَجًا﴾ وقفة لطيفة دفعا لهذا التوهم وإنما ﴿قَيِّمًا﴾ حال، إما من اسم محذوف هو وعامله، أي أنزله قيما، وإما من الكتاب، وجملة النفي معطوفة على الأول ومعترضة على الثاني، قالوا ولا تكون معطوفة؛ لئلا يلزم العطف على الصلة قبل كمالها، وإما من الضمير المجرور باللام إذا أعيد إلى الكتاب لا إلى مجرور على، أو جملة النفي." (ابن هشام، 1985، ص692).

ويجدر بالباحث هنا أن يذكر قولاً لأهل المنطق أن: "نفي الاعوجاج هو إثبات للقوامة فلماذا ذكر تعالى لفظة ﴿قَيِّمًا﴾ من حيث أن ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ متضمنة لهذا المعنى.

هنالك فرق بين النقيضية والضدية، أي الأضداد والنقائض، فالنقيضية هي التي لا يكون بين طرفيها حدا وسطا كالموت والحياة، إذ لا وجود لمرحلة وسطية بين الموت والحياة، وكذلك الوجود واللاوجود، إذ لا وسط بينهما، بينما الضدية هي التي يكون بين طرفيها حد وسط، مثل السواد والبياض، فبينهما الداكن -الرمادي- وعلى هذا الأساس صار نفي صفة ما في النقيض، يعني إثبات الصفة المقابلة بينما نفي صفة ما في الأضداد لا يعني بالضرورة إثبات صفة مقابلة للضد.. ولنرجع للآية، فهل القوامة نقيض الاعوجاج أم ضده؟ القوامة هي نقيض الاعوجاج، إذ لا وجود لما يسمى بالوسطية بينهما، وهما نقيضان فيما لو كانا مجردين، لكنهما ليسا كذلك فيما لو أضيفا لشيء، وهنا هما مضافان لقضيتين، الأولى إثبات عدم اعوجاجه لأهل الكفر؛ ليزيدهم الله يأساً من مسه بسوء، والثانية إثبات قوامته لأهل الإيمان؛ ليزدادوا إيماناً فاقتضى إثبات القوامة لاتصاله بحيثية، مع نفي الاعوجاج لاتصاله بحيثية مغايرة.

فالسكت هنا على الألف المبدلة من التنوين في لفظ "عوجا"؛ وذلك لبيان أن ما بعده وهو قوله: ﴿قَيِّمًا} ليس متصلاً بما قبله. (البدوي، ب.ت، ص11)، ووقف حفص على تنوين ﴿عِوَجًا﴾ يبدله ألفاً، ويسكت سكتةً لطيفة من غير قطع نفس إشعاراً بأنّ ﴿قَيِّمًا﴾ ليس متصلاً بـ ﴿عِوَجًا﴾، وإنما هو من صفة الكتاب. وغيره لم يعبأ بهذا الوهم فلم يسكت اتِكالاً على فهم المعنى. (الدمياطي، 1998، ص363).

وبكل تأكيد حققت السكتة هنا ما جاءت لغايتها، ودلت على جلال القرآن الكريم وكماله، فهي جملة وانتهت، وبدأ بجملة أخرى لها معناها.

وعلى قراءة الآخرين بالوقف أو الوصل فإن ذكر نفي العوج وإثبات الاستقامة إنما هو أيضاً للتأكيد والتوضيح. (النسفي، 1998، ص629).

السكتة الثانية: على الألف من لفظ {مَّرْقَدِنَا} [يس: 52]

قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ} [سورة يس(52)].

بالتأمل في السياق العام الذي وردت فيه هذه الآية نجد أنها وردت في معرض الحديث عن أهوال يوم القيامة، بعد أن تحدثت الآيات السابقة لها عن تكذيب وعناد واستبعاد الكفار للبعث وقولهم: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (48)﴾، قال الله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (49) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (50) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (51)﴾، النفخة الأولى، هي نفخة الفزع والموت، وهذه نفخة البعث والنشور، فإذا نفخ في الصور، خرجوا من الأجداث والقبور، ينسلون إلى ربهم، أي: يسرعون للحضور بين يديه، لا يتمكنون من التأنّي والتأخر، وتأخذ المفاجأة المشركين والكافرين، لأنهم كانوا لا يتوقعون نشورا، فيفزعهم هذا البعث، ويتنادون بالويل.. لأنهم لا يدرون ماذا يراد بهم في هذا العالم الجديد الذي أخذوا إليه؟ ويأخذهم العجب من تلك اليقظة التي أخرجتهم من هذا النوم الطويل.. وفي تلك الحال، يحزن المكذبون، ويظهرون الحسرة والندم، ويقولون:

﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ ويجيئهم الجواب: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ (الخطيب، ب.ت، (941/12)، و(السعدي، 2000، ص697).

قرأ حفص بالسكت على ألف مرقدنا سكتة خفيفة من غير تنفس، ففي الآية تعبير بالماضي عن المضارع، بناءً على تشبيهِ غير الحاضر بالحاضر في استحضار صورتهِ الماضيةِ، لنوع غرابةٍ فيها، نحو قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. (الشحود، ب.ت،ص49)، وذلك لاختلاط عقولهم بما شاهدوا من الهول، وما داخلهم من الفزع أنهم كانوا نياماً، وقد تأتي بكلمة إلى جانب كلمة كأنها معها وهي غير متصلة بها في القرآن.

ومن المعاني المناسبة أيضاً لحالهم هنا السكوت وذلك يقال: إن الكلام انقطع عند المرقد. (الفراء، ب.ت، (380/3)). والاستفهام عن فاعل البعث مستعمل في التعجب والتحسر من حصول البعث. ولما كان البعث عندهم محالا كنّوا عن التعجب من حصوله بالتعجب من فاعله؛ لأن الأفعال الغريبة تتوجه العقول إلى معرفة فاعلها؛ لأنهم لما بعثوا وأزجي بهم إلى العذاب، علموا أنه بعث فعله من أراد تعذيبهم، (ابن عاشور، 2000، (345/22)). فكان هنا سكتة تعزز هذا المعنى في الإجابة عن استفهامهم، في أنه ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده، حتى يهمكم السؤال عن الباعث، إن هذا هو البعث الأكبر ذو الأهوال والأفزاع، وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على ألسنة رسله الصادقين". (الزمخشري، 1409، (30/4)).

وفيه من البديع صنعة التجاذب، وهو أن تكون كلمة محتملة من السابق وأن تكون من اللاحق، (الآلوسي، 1415، (31/12)) ومما يزيد المعنى وضوحا أن الآية تحدثت عن قولين قول الكفار، وقول المؤمنين لهم هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. (النَّحَّاس، 1409، (505/5)).

والاستعارة اللطيفة في ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ المرقد هنا عبارة عن الممات، فشبهوا حال موتهم بحال نومهم، لأنها أشبه الأشياء بها، وأبلغ من القول: من بعثنا من مماتنا.

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

إضافة إلى أنهم يموتون على جهل، لا يعرفون ربّهم، ويبعثون على مثل حالهم، لا يعرفون من بعثهم، ويعدون ما كانوا فيه في قبورهم من العقوبة الشديدة - بالإضافة إلى ما سيلقون من الآلام الجديدة-

نوماً ورقاداً، وسيطأون من الفراق المبرح والاحتراق العظيم الضخم مهاداً، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (24) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾[النبأ:24]، ولقد عوملوا بذلك استحقاقا. (القشيري، ب.ت، (230/3)).

فالسكتة هنا هي الأسلوب الأمثل في فهم معنى الآية ومعرفة الإجابة للاستفهام المسبق، فالحال هنا يتطلب السكت، ففيه تكمن بلاغة المعنى ويسمو الكلام، حتى يصل المعنى البلاغي بتأثيره العالي على النفس البشرية ويكون أشد وقعاً، وأتم بياناً وأفصح من الوصل، ولعل السكت هذا الذي مال إليه حفص إنما هو محل إجماع أهل اللغة والتفسير؛ ولذا يشير الزجاج إلى الابتداء بقوله تعالى (هذا) أنه هو ما عليه أهل التفسير وأهل اللغة. (الفراء، ب.ت، (291/4)).

والآية تتحدث عن هذا البعد العقدي والإيمان بالغيب تأتي بهذا الأسلوب الذي يتناسب مع حال من ينكر البعث من الدهشة والخوف في موقف يصور مدى تكذيبهم في الدنيا واستغرابهم في الآخرة، إذ لو وصل القارئ ولم يقف تجد أن المعنى لم يعط تلك الحالة التي عليها الكفار، وكأن بعثتهم لم تكن غريبة عليهم، وإنما يعرفون عنها ويؤمنون بها من سابق، وهذا على خلاف إنكارهم للبعث وللنشور، وكأنهم يسألون ويجيبون عن أنفسهم، وهذا ما لم يكن عليه أهل التفسير.

وفي أسلوب التحسر على أنفسهم دلالة على أنهم كانوا غير مدركين لما سيؤولون إليه.

السكتة الثالثة: على النون من لفظ "من" في قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ [القيامة: 27]

ومن المواضع التي سكت عنها حفص قوله تعالى: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ بيان لما يقوله أحباب الإنسان الذي

بلغت روحه التراقي، على سبيل التحسر والتوجع واستبعاد شفائه. و"مسم استفهام مبتدأ، و(راقٍ) خبره، وهو اسم فاعل من الرّقية، وهي كلام يقوله القائل، أو فعل يفعله الفاعل من أجل شفاء المريض، والمراد به هنا مطلق الطبيب الذي يرجى على يديه الشفاء لهذا المحتضر.

أي: اذكروا - أيها الناس - وقت بلوغ الروح نهايتها، ووقت أن وقف من يهمهم أمر المريض مستسلمين لقضاء الله - تعالى - وملتمسين من كل من بيده شفاء مريضهم أن يتقدم لإنقاذه مما هو فيه من كرب، ولكنهم لا يجدون أحداً يحقق لهم آمالهم. (طنطاوي، ب.ت، (206/15)).

قال الآلوسي: "قوله: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾، أي: وقال من حضر صاحبها: من يرقيه وينجيه مما هو فيه؟

من الرقية، وهو ما يستشفى به الملسوع والمريض من الكلام المعد لذلك، ولعله أريد به مطلق الطبيب، أعم من أن يطب بالقول أو بالفعل .. والاستفهام عند البعض حقيقي، وقيل: هو استفهام استبعاد وإنكار، أي: قد بلغ هذا المريض مبلغاً لا أحد يستطيع أن يرقيه.

وقيل هذا الكلام من كلام ملائكة الموت. أي: أيكم يرقى بروحه، أملائكة الرحمة، أم ملائكة العذاب، من الرقى وهو العروج، والاستفهام عليه حقيقي". (الآلوسي، 1415، (146/29)).

قال الشنقيطي: اختلف في معنى راق هذه، فقيل من الرقية أي: قال من حوله: من يرقيه؟ هل من طبيب يرقيه؟ أي حالة اشتداد الأمر عليه رجاء لشفائه أو استبعادا بأنه لا ينفعه، وقيل: من الرقي أي تقول الملائكة: من الذي سيرقى بروحه؟ أملائكة العذاب أم ملائكة الرحمة؟ ولكن في الآية قرينة على أن الأول أرجح؛ لأن قول الملائكة يكون في حق الشخص المتردد في أمره، وهذا هنا ليس موضع تردد؛ لأن نهاية السياق فيه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ [القيامة: 31-32]، إلى مَا بَعْدَهُ. (الشنقيطي، ب.ت، (375/8)).

ووقف حفص رواية عن عاصم على مَنْ، وابتدأ بقوله: راقٍ وأدغم الجمهور، وكأنه قصد أن لا يتوهم أنهما كلمة واحدة، فسكت سكتة لطيفة، لتشعر أنهما كلمتان". (الآلوسي،1415، 146/29).

"وقرأ حفص وقيل من راق بإظهار النون إعلاما أن من منفصلة من الراء، والمعنى هل من مداوٍ؟" (ابن زنجلة، ب.ت، (737/1)).

وقال ابن خالويه: "أجمع القراء على قراءتها بالوصل والإدغام إلا ما رواه حفص عن عاصم بقطعها وسكته عليها ثم يبتدئ.. راق". (ابن خالويه، 1401، ص357).

وفي البحر المحيط: "وكأن حفصا قصد ألا يتوهم أنها كلمة واحدة، فسكت سكتا لطيفا ليشعر أنهما كلمتان". (أبو حيان، 1420، (343/10)).

وعند محاولة القراءة بالإدغام يجد الباحث أن المعنى البلاغي لم يظهر كما في السكت، لأن إظهار الاستفهام يوضح المعنى، ويجعل للآية مناسبة على حال المريض الذي هو على وشك النهاية، والفراق لأهله وأولاده، وانقطاع النفس بسبب السكت يناسب انقطاع وفراق حالة المريض، و مناسب لجو العجلة الذي بنيت عليه السورة، فالوقف والوصل لهما دلالة؛ لكن دلالة السكت أبلغ وهو ما يجعلنا نقف عند هذه المعاني، فتخيل أنت ذاك المريض بين أهله وأحبابه يتألم ويشعرهم بأنه سيرحل، وكلهم يبحث له عن راق؛ علّه ينقذه مما لحقه، ولم يذكر الفاعل لمخاطبته الحالة الداخلية لكل محبي المريض كلهم يتمنون إنقاذ حياته، لكن لا أحداً يستطيع، فالسكت هنا برهة من الزمن عند قوله تعالى: ﴿مَنْ﴾ يصور حالتهم وهم يستجدون البشر في إنقاذ مريضهم، وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس، أي من يقدر أن يرقي من الموت، ولذا عندما تقرأ الآية بالوصل تجد أن المعنى يتغير على من لم يفهم الآية وتحول من مهنة إلى أخرى وهذا ما أشار إليه القرطبي. (القرطبي، 2003، 112/19)).

فالكلمات في هذه الآية تؤدي معنى واضحاً عن حالة المريض، وذلك بسؤال عميق صدر بقوله: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ عند نهاية هذه الحياة، وذلك بإيمان أن الدنيا فانية وأن النافع هو الله وحده، فالواو قبل الفعل المبنى للمجهول يربط ويرتب بين حالة المريض وبلوغ الروح الحلقوم، وبين فراقه عن أهله، وهذا يلمس من قطع الصوت والسكوت بدون تنفس للمريض وللقراءة أيضاً.

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

قال القرطبي: "وأظهر عاصم وقوم النون في قوله تعالى: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ واللام في قوله: ﴿بَلْ رَانَ﴾ [المطففين: 14]؛ لئلا يشبه مراق وهو بائع المرقة، وبران في تثنية البر، والصحيح ترك الإظهار، وكسرة القاف في ﴿مَنْ رَاقٍ﴾، وفتحة النون في ﴿بَلْ رَانَ﴾ تكفي زوال اللبس، وأمثل مما ذكر قصد الوقف على (مَنْ) و(بَلْ)، فأظهرهما." (القرطبي، 2003، 112/19)).

السكتة الرابعة: على اللام من لفظ "بل" في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: 14].

الآيات تتحدث عن شيء من التفصيل في رد هؤلاء الكفار، وما قالوه عن القرآن، وموضوع التكذيب، وحقيقة المكذبين: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13)﴾ [المطففين: 11-13].. فالاعتداء والإثم يقودان صاحبهما إلى التكذيب بذلك اليوم وإلى سوء الأدب مع هذا القرآن، فيقول عن آياته حين تتلى عليه: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13)﴾.. لما يحويه من قصص الأولين المسوقة فيه للعبرة والعظة، وبيان سنة الله التي لا تتخلف، والتي تأخذ الناس في ناموس مطرد لا يحيد.

ويعقب على هذا التطاول والتكذيب بالزجر والردع: «كَلَّا!» ليس كما يقولون .. ثم يكشف عن علة هذا التطاول وهذا التكذيب وهذه الغفلة عن الحق الواضح وهذا الانطماس في قلوب المكذبين: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي غطى على قلوبهم ما كانوا يكسبونه من الإثم والمعصية.

والقلب الذي يمرد على المعصية ينطمس ويظلم ويرين عليه غطاء كثيف يحجب النور عنه ويحجبه عن النور، ويفقده الحساسية شيئا فشيئا حتى يتبلد ويموت. (سيد قطب، 1412، (3858/6)).

لام الحرف الساكنة لم تأتِ في القرآن الكريم إلا في كلمتي (هلْ- بلْ) مثل: ﴿هَلْ يَسْتَطِيعُ﴾[المائدة:112]، ﴿بَلْ هُمْ﴾[الأنعام:179]، وحكمها الإظهار المطلق إلا إذا جاء بعدها حرف اللام أو الراء، مثال: ﴿هَلْ لَكُمْ﴾[الروم:28]، ﴿بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا﴾[ص:8]، ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾[النساء:158].

وحكمها الإدغام، ويستثنى من هذه المواضع قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ وذلك بسبب السكت على لام (بلْ) لراوية حفص عن عاصم، والسكت يمنع الإدغام.

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر ﴿بَلْ رَانَ﴾ على قلوبهم بالإمالة وقرأ الباقون بغير الإمالة، وإنما جاءت الإمالة لأن الألف منقلبة من ياء، وترك الإمالة أحسن؛ لأنه ليس فيها ياء في لفظها، ولا كسرة بعدها ولا قبلها، وقرأ حفص ﴿بَلْ رَانَ﴾ بإظهار اللام عند الراء قال: لأن ﴿بَلْ﴾ من كلمة، و﴿رَانَ﴾ من كلمة أخرى، وقرأ الباقون بالإدغام لقرب المخرجين (ابن زنجلة، ب.ت، (574/1)). "والمعنى ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات

الباطلة بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة، فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق" (الخلوتي، ب.ت، (285/10)).

وبل: للإضراب عما تقدمها والاهتمام بما بعدها، ف «كَلَّا» حرف ردع وزجر و«بَلْ» حرف انتقال وإضراب و﴿رَانَ﴾، ماض ﴿قُلُوبِهِمْ﴾، متعلقان بالفعل: (دعاس، 1425، (428/3))، ومما يعزز السكت هنا إعراب الفعل "ران" وما بعده جملة استئنافية (النحاس، 1409، (178/5)).

وعند مراجعة ما كتبه المفسرون عن هذه الآية فالإشارة إلى لفتة بلاغية تعزز معنى سكت حفص عندها ليناسب معنى الران الذي أوجده الفعل في الآية ﴿رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾، فالتكرار للذنوب ومعاودتها والتساهل فيها يكون سبباً لعمى القلب وحجب النور، فالسكتة هنا عند القراءة تثير في السامع والقارئ -على حد سواء- التنبيه العظيم الذي توحي إليه الآية، وخطورته على القلب، وصعوبة الخروج مما أنت فيه، ولذا من معاني الران: "رين بالرجل يُران به رينا إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه" (الرازي،1420، (58/31)). ومن المعاني للران: الإحاطة "غلب على قلوبهم وأحاطت بها حتى غمرتها وغشيتها" (الثعلبي،1422، (149/10)). وافترائهم على القرآن يستدعي الردع المفهوم من كلمة: كلا، أي ارتدعوا وانزجروا عن هذه الأقوال، فليس الأمر كما زعمتم أيها المعتدون الآثمون، ولا كما قلتم، بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله الكريم عليه السّلام. وإنما السبب في ذلك هو الران الذي أحاط بقلوبكم، فالسكوت على لام بل يوضح ذلك التفصيل، (الزحيلي، 1422، (3838/3)). والإحاطة في اللفظ يناسبها السكت ليدل على ما يشير إليه المعنى، مع أن قراءة الإدغام متواترة ولها معانيها أيضاً ودلالاتها. وإظهار اللام جائز، لأنه من كلمة، والراء من كلمة أخرى، وما أشارت إليه الآيات السابقة إنما هو سبب ونتيجة، فابتدأت الآيات بالردع والزجر للتنبيه على أن الأمر أعظم مما يظنون، ثم آذنتهم بأن مصير الفجّار قد كتب وتقرر في الهوة السحيقة المظلمة المعدّة لعذابهم يوم القيامة، والويل لهم في يوم الجزاء الذي يكذّبون به، ولا يكذّب به إلا كل أثيم باغ إذا سمع آيات الله هزأ بها، وقال إنها ليست إلا أساطير الأولين، والحقيقة من أمرهم أن ما اقترفوه من آثام، وجبلت عليه نفوسهم من شر، وخبث قد غطى على بصائرهم، وحجّر قلوبهم، فهذا السبب هو الذي أوصلهم إلى تلك الحالة.

وهنا تأتي عظمة القرآن فهو يوضح بهذه السكتة البلاغية ذاك البعد الاجتماعي الذي يحافظ على قلوب المجتمع من ذاك العمى بسبب أحداث متتالية سببت الران على القلب، وأن المحافظة على القلب من الأمور التي تجعل منها سليماً تجاه المجتمع، فلا يفرط ولا يغالي بعلاقته مع المجتمع وهو ما أشار إليه مطلع السورة في حرمة التطفيف والنظر إلى مصلحتك الخاصة على حساب المجتمع، فقد قال الله منكرا عليهم هذا الفعل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:1].. إلى أن قال: ﴿كَلَّا بَلْ﴾ وهو يبين أن ما لم تروه اليوم في الدنيا سترونه ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[المطففين:6]، وأن هذا الشك والريب والجهل سبب لكل ذلك الران الذي أعماكم، فجاء بالسكت هنا ليوضح هذا المعنى مع تناسب الألفاظ للحالة التي وصلوا إليها وكأنه غلاف كبير على مضغة القلب الرقيق حجب عنه الرؤية القلبية للمعاني، وهنا تنبثق دلالة هذا التنزيل الحكيم، وتنعكس خلفيته مع ما جاء في الحديث النبوي: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً، فأي قلب أشربها، نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

أنكرها، نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين، على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً كالكوز مجخياً لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أشرب من هواه»[1].

النتائج:

بعون من الله وتوفيقٍ تم إنجاز هذا البحث، والذي كشف بعضاً من الدلالات البلاغية للسكت في القرآن الكريم، وقد انتهى البحث إلى جملة من النتائج والتوصيات، وهي كالتالي:

- إن للسكت في القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم دلالات بلاغية توضح المعنى للسامع والقارئ على حد سواء.
- بلاغة السكت فيها علامات تنبيهٍ للسامع للمعنى الذي يلي الأمر الذي سكتنا عنه، ولا نجدها في الوصل أو الوقف.
- المواضع التي سكت عندها حفص هي أربعة مواضع متفق عليها، وهي مواضع متعلقة بأمور مهمة للمسلم متعلقة بقضايا عقيدته وأخلاقه وتعاملاته.
- تنوع القراءات القرآنية تتيح للمسلم أن يختار ما يتناسب مع فهمه وحفظه والتي تسهل تلاوته للقرآن.

التوصيات:

- يوصي الباحث بالتوسع في إبراز بلاغة القرآن الكريم في كل الجوانب، وبالأخص بلاغة السكت في القرآن الكريم عند بقية القراء.

قائمة المصادر والمراجع:

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (1351هـ)، *غاية النهاية في طبقات القراء*، تحقيق: برجستراسرا، مكتبة ابن تيمية.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، (1420هـ-1999م)، *منجد المقرئين ومرشد الطالبين*، ط1، دار الكتب العلمية.

ابن الجزري، محمد بن محمد بن، يوسف(*بدون ت*)، *النشر في القراءات العشر*، تحقيق: علي محمد الضباع، مصر، دار الكتب العربية.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد أبو عبد الله، (1401هـ)، *الحجة في القراءات السبع*، ط4، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، بيروت، دار الشروق.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة(*بدون ت*)، *حجة القراءات*، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، (1420ه/2000م)، *التحرير والتنوير*، ط1، بيروت، مؤسسة التاريخ العربي.

1 أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: باب بيان أن الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، وأنه يأرز بين المسجدين، حديث رقم (144)، ينظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (128/1).

ابن منظور محمد بن مكرم، ب.ت، لسان العرب، ط1، بيروت: دار صادر.

ابن هشـــام، جمال الدين أبو محمد عبدالله بن يوســـف، (1985م)، *مغني اللبيب عن كتب الأعاريب*، ط6، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله، بيروت، دار الفكر.

الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، (1987م)، *جمهرة اللغة*، ط1، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين.

الآلوسي، شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني، (1415 هـــ)، *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني*، تحقيق: على عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية.

الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان، (1420هـــ)، *تفسير البحر المحيط*، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر.

البدوي، محمود سيبويه (بدون ت)، الوجيز في علم التجويد، بدون بيانات.

الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم النيسابوري، (1422هـــ)، *الكشف والبيان عن تفسير القرآن*، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الجودة، فيصل عبد الله حسن، (1443هـــ- 2021م)، *توجيه المتواتر في ضوء الأحرف السبعة على القول بانها لغات*، رسالة دكتوراه في القراءات وعلومها، طنطا، جامعة الأزهر، كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها.

الحصـــري، محمود خليل (بدون ت)، *أحكام قراءة القرآن*، *تحقيق: محمد طلحة بلال*، المكتبة المكية، دار البشائر الإسلامية.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (بدون ت)، *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن مهدي، (1417 هـــ)، *تاريخ بغداد وذيوله*، ط1، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية.

الخطيب، عبد الكريم يونس (بدون ت)، *التفسير القرآني للقرآن*، القاهرة، دار الفكر العربي.

الخلوتي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي (بدون ت)، *تفسير روح البيان*، دار إحياء التراث العربي.

درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، (1415هـ)*إعراب القرآن وبيانه*، ط4، حمص، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، (بيروت- دار اليمامة - دمشق -)، (دمشق – بيروت، دار ابن كثير).

دعاس، قاسم حميدان، (1425هـ)*إعراب القرآن الكريم*، دمشق، دار المنير- دار الفارابي.

الدمياطي، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني، (1419هـ1998م)، *إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ويسمى (منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات)*، ط1، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية.

الرازي، عبد الرحمن بن التميمي، ابن أبي حاتم، (1271هـــ- 1952م)، *الجرح والتعديل*، ط1، حيدر آباد الدكن، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الرازي، فخر الدين، أبو عبد الله محمد بن عمر التيمي، (1420 هـــ)، *مفاتيح الغيب*، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد (1412هـ)، *المفردات في غريب القرآن*، ط1، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، بيروت، لبنان، دار القلم، دمشق، سوريا، الدار الشامية.

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649

الزَّبيدي، محمّد بن محمّد ، الملقب بمرتضـــى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السـري بن سـهل، أبو إسـحاق، (1408هـــ - 1988م)، *معاني القرآن وإعرابه*، ط1، بيروت، عالم الكتب.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى، (1422هـ)، *التفسير الوسيط*، ط1، دمشق، دار الفكر.

الزركشـي، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، (1376 هـــ - 1957م)، *البرهان في علوم القرآن*، ط1، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، بيروت.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد ، (1407 هـــ)، *الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*، ط3، بيروت: دار الكتاب العربي.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، (1420هـ -2000 م)، *تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان*، ط1، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين، (1394هـــ/ 1974م) *الإتقان في علوم القرآن*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشاطبي، القاسم بن فيره، بن خلف، (2005)، *متن الشاطبية المسمى حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المثاني*، تحقيق: محمد تميم الزعبي، مصر، دار الهدى.

الشحود، علي بن نايف(بدون ت)، *الخلاصة في علوم البلاغة*، بدون بيانات.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (1403هـ -1983م)، *كتاب التعريفات*، ط1، دار الكتب العلمية.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، (1415هـــ- 1995م)، *أضواء البيان في إيضاح القرآن* بالقرآن، بيروت، دار الفكر.

طنطاوي، محمد سيد(بدون ت)، *التفسير الوسيط للقرآن الكريم*، ط1، القاهرة، دار نهضة مصر.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد(*بدون ت*)، *معاني القرآن*، تحقيق: أحمد يوسـف نجاتي/ محمد على نجار/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي، مصر، دار المصرية.

القارئ، عبد العزيز بن عبد الفتاح (بدون ت)، *قواعد التجويد على رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود*، مؤسسة الرسالة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصـاري، (1423ه- 2003م)، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق: سمير البخاري، الرياض، دار عالم الكتب.

القشـيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، (بدون ت)، *لطائف الإشـارات*، ط3، تحقيق: ابراهيم البسـيوني، مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

القطان، مناع، (1421هـ - 2000م)، *مباحث في علوم القرآن*، ط3، مكتبة المعارف.

قطب، سيد قطب، (1412هـ)، *في ظلال القرآن*، ط17، القاهرة، بيروت، دار الشروق.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي أبو البقاء(بدون ت)، *الكليات*، تحقيق: عد نان درويش، بيروت، مؤسسة الرسالة.

المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد (بدون ت)، *هداية القاري إلى تجويد كلام الباري*، ط2، القاهرة مكتبة طيبة.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد (بدون ت)، *الإبانة عن معاني القراءات*، ط1، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، القاهرة، دار نهضة مصر.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل (1409هـ)، *معاني القرآن الكريم*، ط1، تحقيق: محمد علي الصابوني، مكة المكرمة، جامعة أم القرى.

النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، (1409هـ- 1988م)، *إعراب القرآن، تحقيق*: زهير غازي زاهد، بيروت، عالم الكتب.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، (1419 هـ - 1998م)، *مدارك التنزيل وحقائق التأويل*، ط1، تحقيق: يوسف علي بديوي، بيروت، دار الكلم الطيب.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (1414هـ- 1994م)، *التبيان في آداب حملة القرآن*، ط3، تحقيق: محمد الحجار، بيروت، دار ابن حزم.

النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (بدون ت)، *المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

https://doi.org/10.20428/jss.v30i4.2649